سلسلة دراسات في التفسير الموضوعي

"مهارة البناء والتعمير"

احذر إهمال نفسك وأصلح حالك

إصلاح البال في سورة محمد

"دراسة تطبيقية إرشادية"

جمع وتأليف

د. أحمد عمر النعمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق فسوى، وقدر فهدى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن الجملة القرآنية في سورة محمد (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ)، و(وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ)، تتضمن معنيين (الإصلاح) و(البال).

ولدى الوقوف على الآيتين والتمعن فيهما والنظر في سياقهما فإنها جاءت في معرض الدفاع عن الدين وبذل الروح في سبيله.

فالله سبحانه وتعالى يكرم أهل الإيمان واليقين، والذين يُقتلون في سبيل الله، بكرامة الدارين، لتكون مكافأتهم إصلاح بالهم.

قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ)، والآية.

وقال الله تعالى: :(والَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ، سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ). كما تضمنت الآيتان أن إصلاح البال يكون في الدنيا والآخرة.

والبال يشمل معان عدة هي قوام الدنيا والدين منها: القناعة، والحال، والشأن، والقلب، ورغد العيش.

وكلمة البال تساق في معرض التعبير عن الفكر والعقل والقلب والحال والشعور، وهذه مجمل مكونات الإنسان المادية والمعنوية، وإذا صلحت تم الفوز والنجاح، وإلا فالشقاء والخسارة.

والذي يهدف إليه البحث الوقوف على التعبير القرآني الذي جاء بعبارة (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) محمد:٢ (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ)، ولم يأت بغيرها في هذا السياق، وأيضاً، الكشف عن الجانب البياني الذي يوضحه ويفصله استعراض السياق والسباق واللحاق لهذه العبارة، وقيمة الموضوع الذي سيقت له عبارة (وأصلح بالهم)، (ويصلح بالهم)، واستنباط الفوائد والفرائد التي تفيد.

وتتألف هذه الدراسة من فصلين ومباحث.

الفصل الأول: مفهوم مصطلح البال في التعبير القرآني وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالبال لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تعريف الصلاح لغة واصطلاحاً.

المبحث الثالث: إصلاح البال "وقفة مع قوله تعالى:(وأصلح بالهم)".

المبحث الرابع: إصلاح البال في سورة محمد

المبحث الخامس: مصطلحات وقوالب في مفهوم البال.

المبحث السادس: عبارات في إصلاح البال وعكسه.

المبحث الثاني: البال في السيرة والسنة وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: البال في السنة المطهرة

المطلب الثاني: البال في تعبير أهل العلم.

المطلب الثالث: البال في السيرة النبوية.

المطلب الرابع: من أسباب إصلاح البال.

الفصل الثاني: صلاح البال في سور القرآن الكريم وفيه مباحث:

المبحث الأول: قصة سورة محمد،ﷺ وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التحريض على قتال المشركين

المطلب الثاني: خصال المنافقين

المطلب الثالث: حديث عن المشركين والمؤمنين.

المبحث الثاني: البال في السنة المطهرة

المبحث الثالث: الإيمان بالقدر وإصلاح البال

المبحث الرابع: الإيمان وراحة البال

الخاتمة

المصادر والمراجع.

الفصل الأول: تعاريف ومفاهيم في إصلاح البال وفيه مباحث:

المبحث الأول: مفهوم البال في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: البال في اللغة

البال في اللغة: الخاطر، رخاء العيش، والبال: الحال التي يكترث بها، ولذلك يقال: ما باليت بكذا بالة، أي: ما اكترثت به. قال تعالى:(وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) محمد:٢ ينامون مرتاحي البال، ذكره ابن قتيبة الدينوري في غريب الحديث. ثم قال: قال الأصمعي: كان العمري إذا سئل عن حاله قال: بخير أصلح الله بالكم. قال الله جل وعز: (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) محمد:٢ (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ)، أي: حالهم[١]

وفي الاصطلاح: صلاح البال: هو شعور نفسي وجسدي، وغالباً ما يقال إنه شعور باليسر وكثيراً ما ترافق الكلمة راحة البال وهو نوع من الارتياح الداخلي والرضى النفسي والطمأنينة، وغالباً ما توصف بأنها عدم وجود العسر.[٢]

ويحسن بنا أن نستعرض معنى البال أقوال المفسرين ولغوياً وأدبياً وفقهياً، ليتجلى معنى إصلاح البال وسعة معناه ومغزاه.

---

[١] غريب الحديث٢/٥٣٩، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبور، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧

[٢] انظر: قاموس المعاني، كلمة بال.

المطلب الثاني: البال في الاصطلاح

لدى تتبعنا لمعنى جملة (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) محمد:٢، في كتب اللغة والأدب، فإننا نجد سياقات أخرى تتضمن هذه المعاني كلها والتي جاءت في القوالب الآتية:

جرَى على باله: تذكّر، فكّر فيه، توقَّع.

لا يخطر على البال: بعيد الوقوع، غير معقول.

لم يُلقِ لقوله بالاً: لم ينتبه إليه أو يهتمَّ به،

حال وشأن (مذكر).

رخيّ البال: ناعم البال: موفور العيش، هادِئ النَّفس.

لَمْ يَخْطُرْ هَذَا الأمْرُ بِبَالِي قَطُّ: بِخاطِرِي، بِفِكْرِي بالُهُ مَشْغُولٌ عَلَى الدَّوامِ.

هُوَ كاسِفُ البالِ: كاسِفُ النَّفْسِ.

شَعَرَ بِراحَةِ البالِ: باطْمِئْنانِ حالِهِ وَنَفْسِهِ.

أمْرٌ ذُو بالٍ: أمْرٌ ذُو شأْنٍ عَظِيمٍ.

لَيْسَ هَذَا مِنْ بالِي: لَيْسَ مِمَّا أُبالِيهِ.

طَوِيلُ البالِ: صَبُورٌ لا يَنْزَعِجُ

أجِدُهُ عَلَى الدَّوامِ رَخِيَّ البالِ: غَيْرَ مَهْمومٍ، نائِماً، هَنِيءَ العَيْشِ.

ما بالُكَ: ما شَأْنُك، ما حَالُك.

وراحة البال تكون في الدنيا والآخرة.

ومجمل هذه القوالب تصف الحال والبال عند الإنسان سعادة وشقاء ونظام حياة.

فصلاح البال والحال أو فساده يدخل في الشؤون الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وفي الحياة عامة، لهذا فعندما تحدث القرآن الكريم عن إصلاح البال، إنما وجّه إلى تأسيس الحياة السعيدة، والعمل لها في الدنيا والآخرة، وجعل لذلك ثمناً، وهو بذل المهج في سبيل الحفاظ على الدين وأهله. ولدى التحليل نستنتج بأن: صلاح البال: هو موضع الفكر، والفكر موضعه العقل والقلب، فأنت عندما تقول: أصلح الله بالك، أي أصلح الله خاطرك، وتفكيرك، وقلبك، وأمرك، وعقلك، ونفسك وأسرتك وشأنك،

ومالك وجاهك، ومكانتك وعملك الدنيوي والأخروي، وهذا كله يتوقف على صلاح القلب.

وتحرير التفسير في لفظة (بالهم)، أنها بمعنى الفكر والموضع الذي فيه نظر الإنسان وهو القلب، فإذا صلح ذلك صلحت حاله، فكأن اللفظة مشيرة إلى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع.

فقولك: خطر في بالي كذا، وقولك: أصلح الله بالك: المراد بهما واحد، ذكره المبرد، ويقال: أصلح بالهم يعني: أظهر الله تعالى أمرهم في الإسلام، حتى يقتدى بهم.

ومن هنا نقل العلامة الشنقيطي –رحمه الله تعالى – تفسير هذه الآية الكريمة: (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) محمد:٢ (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ)،) أي: أصلح لهم شأنهم وحالهم إصلاحاً لا فساد معه.

المطلب الثالث

وإذا أردنا أن نفصل أكثر في معاني البال كما في المعجم فإننا نخلص إلى أن ذكرَ اللهِ تعالى لإصلاح البال يأتي ثمرةَ الدفاع عن دينه، ولهذا فمن أراد أن ينال الشرف في الدعوة لدينه والثبات على ردع أعداء الدين، فيجب أن

يستعمل لغة القرآن وأسلوب القرآن لتصلح حاله، ولهذا لا بدّ من إصلاح وتطهير الأحوال الآتية في الإنسان:

١- الذهن، الخاطر، القلب.

٢ - الحال والشأن. وأن نصفيها من العوالق التي تحجبها عن الإقبال والتفكير السديد، وأن نستحضر الهم المتواصل في نصرة دين الله تعالى، وهذا يجسِّد حالاً من أحوال النبي ﷺ وأنه كان "متواصل الأحزان"[٣]، تفكيراً وهمّاً لأداء مهمة الدعوة إلى دينه.

٣-مثال آخر في شغل البال بما يصلح الحال، أن يكون مثل حال الأم حتى صار مثلاً سائراً في معاجم اللغة يقال: "الأم دائماً مشغولة البال على أولادها الغائبين".

٤- ومن الأمثال السائرة والتي تحض على التركيز في إشغال البال بما يصلح الحال. يقال: أ-جرى على باله. أي: تذكر وفكر فيه.

٥-وخالي البال، وخلي البال: لا يشغله شاغل، مطمئن القلب.

[٣] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٤١٤)، والبيهقي في الشعب برقم (١٣٦٢).

٦-وخطر على باله، وخطر في باله: تذكره بعد نسيان.

٧-وراحة البال: طمأنينة النفس، خلو من الهم.

٨- وطويل البال: صبور، كثير الاحتمال.."[٤]

قال الشاعر:

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتنَ إلا خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباهها يقلب الدهر من حال إلى حال.

في النفس والمجتمع.

[٤] : معجم اللغة العربية المعاصرة٢/١٨٦٨

المبحث الثاني: مفهوم الصلاح والإصلاح

المطلب الأول

الصلاح: نقيض الفساد، والإصلاح: نقيض الإفساد، ورجل صالح: مصلح، والصالح في نفسه، والمصلح في أعماله وأموره. "[٥]

وقال أبو البقاء: والصلاح: هو سلوك طريق الهدى وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل، والصالح: المستقيم الحال.

وفي الدعاء، "اللهم أصلح لي ديني الذي جعلته عصمة أمري، اللهم أصلح لي دنياي التي جعلت فيها معاشي – ثلاث مرات – اللهم أصلح لي آخرتي التي جعلت إليها مرجعي".[٦]

"اللهم أصلح ذات البين" أي أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون.

إن لكل امرئ جوانياً وبرانياً، فمن يصلح جوانيه يصلح الله برانيه، ومن يفسد جوانيه يفسد الله برانيه".

---

[٥] كتاب العين ١١٧/٣

[٦] عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد.

معناه: من أصلح ظاهره بذم جوارحه، وحفظ حركاته، أعانه الله تعالى على حفظ قلبه.

وقال بعض الحكماء: استجلب نور القلب بدوام الحزن، واستفتح باب الحزن بطول الذكر، واطلب راحة البدن بإحجام القلب، واطلب إحجام القلب بترك خلطاء السوء، وقيل: موت القلب بالجهل، وحياة القلب بالعلم.

وقال سهل بن عبد الله رحمة الله عليه: إنما على العبد ذم جوارحه، وحفظ حدود الله، وكف النفس عن شهواتها، فإذا فعل ذلك حفظ الله تعالى قلبه، وأصلح سره. ".[٧]

[٧] بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار ١٣٢/١، المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: ٣٨٠هـ).

المطلب الثاني: مهارات في إصلاح النفس

إن لإصلاح النفس وتطوير الذات مهارات يجب أن تسلك وهي كثيرة متعددة منها:

١- معرفة النفس: فمعرفة الإنسان حقيقة نفسه، والوقوف على مواطن عجزه وضعفه، تفتح له باب الانكسار للعزيز الجبار، وكذلك تفتح له باب إصلاح النفس وتغيير الذات.

٢- تخلية النفس من العيوب الظاهرة والباطنة: كالكبر والعجب والرياء، وهذه من أخطر الأخلاق التي تقضي على حياة الدين في الإنسان.

٣- الرضى بالقضاء والقدر: إن الرضى بالقضاء هو من أسس الإيمان، وهو من ركائز النفس المتوازنة، فمن أراد أن يطور ذاته فإن تحقق الذات بالرضا من أعلى الغايات التي ينبغي أن يسعى إليها طالب ذلك، إذ به تسكن النفس لمجاري الأقدار، وترضى بما اختاره اللطيف الجبار سبحانه وتعالى، ومن هذا الرضى ومن تلكم السكينة تحصل السعادة والطمأنينة.

٤- تحديد الوجهة ومعرفة الطريق: وذلك بأن يدركَ معالم الطريق الذي يمشي فيه فيبصرَ أوله ويعلمَ آخره، فالطريق الواضحة يورث الطمأنينة التي

تتبعها السكينة، وبتحصيل ذلك تنشط النفس للإبداع، وتقوى على التضحية.

٥- العزيمة والإصرار: فلا ينبغي للإنسان أن ييأس إذا فشل ولا لعزيمته أن تفتر إن عَثَرَ، فالإصرار من أهم مفاتيح النجاح سواء الدنيوي أو الأخروي.

٦- الاستقامة: بعد معرفة الإنسان نفسه ثم تحديد هدفه وغايته وتحقيق إصراره وعزيمته لا بدَّ له من الثبات على الطريق الذي يسلكه سواء طريق الآخرة طريق الهداية والاستقامة، أو طريق النجاح الدنيوي والتحصيل العملي أو العلمي.

٧- طلب العلم: ولا شكَّ أن بالعلم تتفتح العقول وتستنير الأفئدة، فبالعلم تبنى الأمجاد ويزهو طريق العباد وترتقي الدور والبلاد.

٨- حفظ الأوقات: بعد أن ذكرنا أهم النقاط التي يحتاجها الإنسان في تنمية الذات وإدارة التغيير للنفس البشرية، ينبغي ألا نغفل عن أهمية الأوقات إذ هي رأس مال الإنسان، فلا يتم شيء مما ذكرنا إلا بحفظها وصرفها فيما ينفع.

٩- الصحبة الصالحة: إن من أهم معالم تطوير الذات أن يصحب الإنسان من يعينه على ذلك، فالصحبة الصالحة من أهم تلك الوسائل، فهي تعين

على تحصين النفس من الخمول وتدفع عن الإنسان الكسل والتقاعس، وتأخذ بيده إلى معالي الخير الذي ينشده".[٨]

[٨] الخطوات العملية لإصلاح النفس وتطوير الذات، الشيخ فارس عمران نشرت: يوم الخميس،٢٥-نوفمبر-٢٠٢١.

المبحث الثالث: قصة إصلاح البال في سورة محمد

المطلب الأول

١-بدأت السورة بالهجوم على المشركين، وبيّنت هلاكهم وضياعهم وضلالهم.

لقد سلب الله عنهم الهدى والتوفيق، فاتبعوا الباطل وانحرفوا إلى الضلال، وهذا شأن كل من حاد عن منهج الله تعالى، واتبع غير سبيل المؤمنين، وجعل شعائر الدين سياجاً يتستر به ويأكل فيه.

أما المؤمنون، فقد آمنوا بالله ورسوله، فكفّر الله تعالى ذنوبهم ورزقهم صلاح البال وهدوء النفس ونعمة الرضا واليقين.

وقد وعد الله الشهداء بحسن المثوبة والكرامة والهداية وصلاح البال ودخول الجنة، لأنهم نصروا دين الله فسينصرهم الله ويثبت أقدامهم، كما توعد الكافرين بالتعاسة والضلال والهلاك جزاء كفرهم وعنادهم.

وتسوق السورة ألواناً من التهديد للمشركين، فتأمرهم أن يسيروا في الأرض فينظروا ماذا أصاب المكذبين من الهلاك والدمار، ثم تمضي السورة في ألوان

من الحديث حول الكفر والإيمان فتصف المؤمنين بأنهم في ولاية الله ورعايته، والكفار بأنهم محرومون من هذه الولاية."[٩]

٢-حركة النفاق حركة مدنية لم يكن لها وجود في مكة نظراً لضعف المسلمين فيها وتفوق أعدائهم. فلما هاجر المسلمون الى المدينة وبدأ شأن الإسلام في الظهور والاستعلاء، بدأت حركة النفاق في الظهور والنمو، وساعدها على الظهور وجود اليهود في المدينة، بما لهم من قوة مادية وفكرية، وبما يضمرونه للدين الجديد من كراهية. وسرعان ما اجتمع اليهود مع المنافقين على هدف واحد، ودبروا أمرهم بليل، فأخذ المنافقون في حبك المؤامرات ودس الدسائس في كل مناسبة تعرض، فإن كان المسلمون في شدة ظهروا بعدائهم وجهروا ببغضائهم، وإذا كانوا في رخاء ظلت الدسائس سرية، والمكايد في الظلام وكانوا الى منتصف العهد المدني، يشكلون خطراً حقيقياً على الإسلام والمسلمين.

[٩] الموسوعة القرآنية، خصائص السور المؤلف: جعفر شرف الدين المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري١٦٩/٨، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ.

وقد تواتر ذكر المنافقين ووصف دسائسهم، والتنديد بمؤامراتهم وأخلاقهم في السور المدنية كما تكرر ذكر اتصالهم باليهود، وتلقيهم عنهم، واشتراكهم معهم في بعض المؤامرات المحبوكة.[١٠]

وسوف نعرف النفاق وأهم صفات وسلوكيات المنافقين، وسبب نفاقهم.

٣- المقطع الأخير من السورة يشمل الآيات ٣٢- ٣٨، ويتحدث عن المشركين والمؤمنين، ويبين في بدايته أن المشركين منعوا الناس من الإيمان بالله تعالى، وأعلنوا الشقاق والعداوة لرسول الله ﷺ، وهؤلاء لن يضروا الله بكفرهم، وسيحبط الله أعمالهم.

وتتجه الآيات الى المؤمنين فتأمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول، وتأمرهم بالثبات على الحق حتى يأتي نصر الله. قال الله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) محمد٣٣.[١١]

[١٠] الموسوعة القرآنية خصائص السور٨/..١٦٧

[١١] الموسوعة القرآنية، خصائص السور٨/١٦٩.

المطلب الثاني: بعض فوائد الآية الكريمة

الفائدة الأولى: في القرآن العظيم وفي هدي سيد الأنام ﷺ الشفاء من كل أمراض العصر، كالقلق والتوتر والعصبية وغير ذلك كثير، لقوله تعالى:(وأصلح بالهم)، ولقوله تعالى:(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) الإسراء٨٢.

وعلى كل من يعاني من تلك الأمراض أن يعالج نفسه بالقرآن الكريم، علماً وعملاً وتلاوةً، فسيجد فيه الشفاء من كل داء، وإذا لم يجد المسلم في القرآن ما يشفي صدره ويريح باله، فليعلم أن العيب فيه، إما لتقصيره في التلاوة والتدبر، أو لضعف اليقين بما وعد به الله- عز وجل-، أو لوجود شك في قلبه أو شبهة في عقله تمنع وصول الحق إليه، ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في معنى أصلح بالهم: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي أمرهم وقال مجاهد: أي شأنهم وقال قتادة: حالهم، والكل متقارب"، ويتفرع على ذلك أن نحكم على كل من يعاني من تلك الأمراض أنه بعيد عن منهج الله سبحانه وتعالى- ويعلم قدر بعده عن هذا المنهج بقدر ما أصابه من تلك الأمراض، كما يتفرع عليه تفاوت الناس تفاوتا كبيرا في التمسك بما نزل على محمد ﷺ لتباينهم في صلاح شأنهم وأحوالهم، ويتفرع عليه أيضاً عدم أمانة الطبيب الذي يعالج هذه الأمراض دون نصح المريض بالتمسك

بالكتاب والسنة، والخيانة الكبرى أن يعالج الطبيب المريض بما يناقض ما جاء في الكتاب والسنة، كالطبيب الذي يعالج بسماع الموسيقى والأغاني مثلاً.

الفائدة الثانية: عظم شأن العمل الصالح، وهو الذي يتوفر فيه شرطا (الإخلاص والمتابعة) حيث إن الآية قد قيدت إصلاح شؤون الدنيا والآخرة بالإيمان والعمل الصالح."[١٢]". "ولا بدَّ في كل عمل من أمرين: إخلاص العمل لله.. وأداؤه كما جاء في سنة رسول اللهﷺ. والاتباع الكامل يتحقق بثلاثة أمور:

١-اتباع الرسول ﷺ في نيته.

٢-واتباعه في وجهته وهي الآخرة.

٣- واتباعه في هيئة العمل.

وكمال العمل الصالح وقبوله مبني على ستة أمور:

الأول: إخلاص العمل لله تعالى.

---

[١٢] منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ٤٨٧/١ المؤلف: تامر محمد محمود متولي الناشر: دار ماجد عسيري الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

الثاني: أن يكون على طريقة رسول الله ﷺ.

الثالث: الاحتساب، بأن يعرف قيمة العمل الذي يؤديه لله تعالى.

الرابع: اليقين على ذات الله تعالى الذي يملك كل شيء.

الخامس: أن يؤديه بالمجاهدة، بترك ما يحب من أجله.

السادس: أن يؤديه بصفة الإحسان، فيؤديه بأحسن هيئة، ويقوم به أمام ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن ربه يراه.."[١٣]

فصلاح الحال، وإصلاح البال مرهونان، بضبط العلاقات الثلاث، العلاقة مع الله تعالى، بعقيدة صحيحة صريحة وفق الهدي النبوي، وأخلاق ناتجة عن تلك العقيدة التي تثمر إتباعاً صحيحاً، وقولاً صادقاً، وجهاداً مستمراً، وإخلاصاً عاماً.

[١٣] موسوعة فقه القلوب ١٥٣٤/٢ المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري الناشر: بيت الأفكار الدولية.

المبحث الرابع: الإيمان بالله وراحة البال

المطلب الأول: مكانة الإيمان في إصلاح البال

المتقون الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله، مُتَّبِعِين لرسوله ﷺ، لهم الجنة فيها من أنواع النعيم، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) البينة: ٧، ٨ وقال تعالى: (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، السجدة: ١٧ .

وأعلى أوامر الدين مرتبة الإحسان، وإحسان العبادة: هو الإخلاص فيها، والخضوع، وفراغ البال حال التلبس بها، ومراقبة المعبود.

وضعيف العقيدة، ضعيف الإيمان متشتت البال يعاني الحزن والقلق من غير جدوى، والمؤمن المتوكل، الموحد ينعم بالهدوء، والطمأنينة والسكينة.

والطمأنينة القلبية والسكينة النفسية وراحة البال وهدوء الجنان ثمرات طيبة للإيمان قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ). الرعد:٢٨ وقال: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيماً) الفتح:٤، وإذا اطمأن القلب، وارتاحت النفس شعر المؤمن ببرد اليقين وحلاوة الإيمان

وحسن الصلة بالله تبارك وتعالى، فاحتمل الآلام بثبات وشجاعة، وهانت عليه الخطوب مهما اشتدت، ورأى يد الله ممدودة إليه دائما، وأن عين الله ترعاه أبدا، وأنه في حماية الله، وفي كنفه، وإذا ما ناله أذى فسيضاعف له الجزاء الحسن يوم القيامة. قال تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)البقرة:٢٥٧"[١٤]

[١٤] أضواء على الثقافة الاسلامية١/١٠٣، المؤلف: الدكتورة نادية شريف العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

المبحث الخامس: الإيمان بالقدر وإصلاح البال

القدر: هو علم الله تعالى في الأزل بمصير كل مخلوق، وباختياره، وبكل ما وقع، ويقع في العالم.

والقضاء: حكمه تعالى في خلقه على النحو الذي سوف يقع لهم، أو عليهم في الحياة. والمسلم يعتقد أن ما وقع له من خير، أو شر، هو بعلم الله تعالى، ويتحمل مسؤولية أعماله، لأنه محاسب على اختياره.

والإيمان بالقضاء والقدر عامل من عوامل راحته، لعلمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه."[١٥] "ومن تمام الإيمان بالقدر: أن يأخذ الإنسان بالأسباب، ويسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلك الطرق الصحيحة الموصلة إليها، فيضرب في الأرض، ويسعى لطلب الرزق؛ فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله.

والإيمان بالقدر على هذا النحو، يثمر سكون القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، وترك التحسر على ما فات، ويورث الإنسان الشجاعة، والإقدام، وطرد اليأس، وقوة الاحتمال.

---

[١٥] لمجتمع والأسرة في الإسلام١/٢٨، المؤلف: محمد طاهر الجوابي، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م

ولهذا يجد المؤمنون بالقضاء والقدر راحة، وطمأنينة لا يجدها غيرهم ممن لا يؤمنون بقضاء الله وقدره."[١٦]

ومن أكمل الإيمان بالقضاء والقدر الشعور بالرضا والسعادة عند نزول البلاء والمصيبة، ويتمثل في استمتاع الفرد بالحياة بعمله وأسرته وأصدقائه وشعوره بالطمأنينة وراحة البال والأمن في أغلب أحواله. فالمؤمن لا يشعر بالخوف على المستقبل لأن المستقبل غيب والغيب بيد الله ولا يقلق على الموت لأنه يعلم أنه السبيل إلى الحياة الأبدية في جنة الخلد إن كان من المؤمنين حقا، وهو لا يقلق على الرزق لأنه يوقن: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ)، الذاريات: ٥٨ ، ويوجهنا سبحانه إلى عدم نسيان نصيبنا من الدنيا: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)، ويقول تعالى:(أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ)المائدة: ٨٧-٨٨، ويقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)، البقرة: ١٧٢، وقال تعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ

[١٦] الطريق إلى الإسلام١/٧٤، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، الناشر: دار بن خزيمة، الطبعة: الثانية.

وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ النحل١١ ."[١٧]

[١٧] بناء المجتمع الإسلامي١/١٦٨، المؤلف: د نبيل السمالوطي، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة: الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م

الفصل الثاني: البال في السنة المطهرة وفيه مباحث:

المبحث الأول: مسألة عقدية وردت في الحديث الشريف

علق ابن بطال في شرحه صحيح البخاري على دعاء النبي ﷺ للمنافق لما شمّت النبي ﷺ عندما عطس فقال: "يهديكم الله ويصلح بالكم". ولفظ الحديث بتمامه:" عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم "[١٨]

ففي هذا من الفقه: أنه جائز أن يدعى لكل من يرجى من الكفار إنابته بالهداية ما دام حياً، لأن النبي، ﷺ، لما شمته أحد المنافقين واليهود قال: "يهديكم الله ويصلح بالكم."[١٩]

سؤال:

والسؤال فهل هذا الدعاء هو خاص لغير المسلم؟ أم إن الدعاء مطلق يدخل فيه الجميع؟ وسبب هذا التساؤل هو ورود حديث البخاري في ذات الباب،

---

[١٨] أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٤).

[١٩] : شرح صحيح البخاري لابن بطال٣/٣٥٢، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ) ..

في الجواب على من شمت العاطس بنفس اللفظ الذي يقال فيه لغير المسلم، ولفظ الحديث:" قال النبي:ﷺ (إذا عطس أحدكم، فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله، ويصلح بالكم).[٢٠]

والجواب على هذا الإشكال:

الجواب جاء في تعليق الأئمة مثل ابن عبد البر، وابن بطال، والنووي وغيرهم [٢١].

إلا أن ما ذكره ابن دقيق العيد الذي أورده ابن حجر في فتح الباري فيه توفيق بين الأقوال قال رحمه الله تعالى:

"إذا نظرنا إلى قول من قال من أهل اللغة إن التشميت الدعاء بالخير دخل الكفار في عموم الأمر بالتشميت، وإذا نظرنا إلى من خص التشميت بالرحمة لم يدخلوا قال: ولعل من خص التشميت بالدعاء بالرحمة بناه على الغالب لأنه تقييد لوضع اللفظ في اللغة". وقد أتم الإمام ابن حجر هذه

---

[٢٠] أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٤).

[٢١] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج١٨/١٢٠، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ).

الفائدة فقال:" قلت وهذا البحث أنشأه من حيث اللغة وأما من حيث الشرع فحديث أبي موسى دال على أنهم يدخلون في مطلق الأمر بالتشميت لكن لهم تشميت مخصوص وهو الدعاء لهم بالهداية وإصلاح البال وهو الشأن ولا مانع من ذلك بخلاف تشميت المسلمين فإنهم أهل الدعاء بالرحمة بخلاف الكفار"[٢٢] "عن أبي هريرة – رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله وليقل له أخوه –أو صاحبه– يرحمك الله فإذا قال له يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم".

"هذا التشميت للعاطس من حكمته حصول المودة والمؤالفة بين المسلمين، وهي قاعدة لا يحصى ما دل عليها من الشرع؛ "لا تحاسدوا، ولا تباغضوا"[٢٣]، "لا تختلفوا فتختلف قلوبكم" [٢٤]"لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه"

---

[٢٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري١٠/٦٠٤، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

[٢٣] أخرجه البخاري (٥٧١٧)، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ومسلم (٢٥٦٣)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظن، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –.

[٢٤] أخرجه مسلم (٤٣٢)، كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها، من حديث أبي مسعود – رضي الله عنه.

[٢٥]، "عودوا المريض وأجيبوا الداعي" وهذا الموضع على الخصوص – وهو تأديب راجع إلى تشميت العاطس – أصل في استجلاب المودات بحسن المواظبات.

وذكر الإمام الحليمي في حكمة ذلك: أن معنى حمد الله تعالى عند العطاس دفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الذكر والفكر، ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحس والحركة، وبسلامتها تكون سلامة الأعضاء؛ يعني: والتوصل بكل شيء منها إلى ما خلق له، فإذا تيسر ذلك، فإنما هو نعمة من الله جليلة، وفائدة عظيمة، فلا أقل من أن يعرف قدرها بالحمد لله عز وجل، وفيه مع ذلك اعتراف له بالخلق والتدبير، وإضافة ما يصدر منه إليه، لا إلى الطباع كما يقوله الملحدون، فكان مما تحقق المحافظة عليه بهذا المعنى."[٢٦].

---

[٢٥] أخرجه البخاري (٥٧١٨)، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ومسلم (٢٥٥٩)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم التحاسد والتباغض والتدابر.

[٢٦] شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، المؤلف: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢ هم

أما اختيار لفظ إصلاح البال ففيه من دقة لأنه يحمل في طياته خيري الدنيا والآخرة، وقد نقلت أقوال الأئمة من الفقهاء والمفسرين وعلماء اللغة، ولكن تتمة للفائدة ننقل تعليق شراح الحديث على إصلاح البال موضوع بحثنا.

جاء بتعبير يصلح بالكم بالجمع فيه فائدة قال عبد الحق الدهلوي: " (ويصلح بالكم) خطاب الجمع باعتبار الغالب من اجتماع الناس في المجالس أو تعظيماً، وهو واقع وإن كان على قلة، أو إدخالاً لجميع أمة محمد ﷺ في الدعاء تغليباً للحاضرين على الغائبين."[٢٧]

-أغلب الأئمة اتفقوا على رواية "يهديكم الله ويصلح بالكم" حيث وردت روايات صحيحة عبارة يهديكم الله فقط، أو يغفر الله لنا ولكم، لكن الأصح فيها يهديكم الله ويصلح بالكم.

وفي فقه الإسلام:" يهديكم الله ويصلح بالكم، ومعنى يهديكم الله: أي يوفقكم الله للخير، ويستعملكم في طاعته، ويسددكم، ويرشدكم، ويعينكم

[٢٧] لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح٨/٨١، المؤلف: عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدِّهلوي الحنفي «المولود بدلهي في الهند سنة (٩٥٨ هـ) والمتوفى بها سنة (١٠٥٢ هـ) رحمه الله تعالى»، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

على ما يحب ويرضى ويبعدكم عن المعاصي، ومعنى: ويصلح بالكم أي يجمع شملكم ويحسن حالكم وشأنكم."[٢٨]

[٢٨] فقه الإسلام «شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام» ١٠/١٦٨، المؤلف: عبد القادر شيبة الحمد، الناشر: مطابع الرشيد، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

الفصل الثالث: البال في اللغة والأدب

المبحث الأول: مصطلحات بيانية في مفهوم البال

١- كسف البال: يقال: فلان كاسف البال، وكسوف باله: أن يضيق عليه أمله، وهو رخي البال، إذا لم يشتد عليه الأمر ولم يكترث."[٢٩] وكسوف البال: أن تحدثه نفسه بالشر، وقيل: هو أن يضيق عليه أمله. ويقال: عبس في وجهي، وكسف كسوفاً. والكسوف في الوجه: الصفرة والتغير، ورجل كاسف: مهموم قد تغير لونه وهزل من الحزن[٣٠]

٢- فكان يختلج في البال: وأصل الخلج: الجذب والنزع، وقال الليث: يقال: خلج الرجل حاجبيه عن عينيه، واختلج حاجباه وعيناه إذا تحركتا، وأنشد:

يكلمني ويخلج حاجبيه لأحسب عنده علما قديماً."[٣١]

٣- وأول ما يخطر في البال: والخاطر: الفكر والجمع خواطر، يقال: وما خطر هذا الأمر بقلبي أي لم يلمم به."[٣٢]

---

[٢٩] تهذيب اللغة: ٢٨٤/١٥، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)..

[٣٠] تاج العروس من جواهر القاموس٣٠٩/٢٤، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية

[٣١] تهذيب اللغة ٣٠/٧

[٣٢] جمهرة اللغة٥٥٨/١ بتصرف.

٤- خليّ البال: لا يشغله شاغل، مطمئن القلب.[٣٣]

٥- ناعم البال: منعم البال بثرائه المادي، واسع البال طويل المدى: نعم ينعم نعمة فهو نعم ناعم بين المنعم. والنعماء اسم النعمة. والنعيم: الخفض والدعة. والنعمة: اليد الصالحة، وأنعم الله عليه. وجارية ناعمة منعمة، وأنعم الله بك عينا، ونعم بك عينا، أي: أقر بك عين من تحب"[٣٤] وضعيف العقيدة مشتت الفكر موزع النفس ضعيف العقيدة متشتت البال يعاني الحزن والقلق من غير جدوى، والمؤمن المتوكل، الموحد ينعم بالهدوء، والطمأنينة والسكينة.[٣٥]

٦- يثلج بالهم وهج البال: الوهج: حر النار والشمس من بعيد. وقد توهجت النار ووهجت توهج فهي وهجة، فحمد الله تعالى سبب لهم برودة تكسر وهج النار في داخلهم، بمعنى هدأت حالهم وارتاحوا من وقع اللواعج في داخلهم.

٧- يسترعي البال: استرعاه الشيءَ: أي ا ستحفظه. يقال: "من استرعى الذئب ظلم"

٨-ولا يعزب عن البال: عزب: قال الله جل وعز: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)، سبأ:٣. معناه لا يغيب عن علمه شيء.

---

[٣٣] معجم اللغة العربية المعاصرة١/٢٦٤

[٣٤] كتاب العين ٢/١٦١

[٣٥] رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان ١/١٢٤ المؤلف: إسماعيل بن عبد الغني بن وَلي الله بن عبد الرحيم العُمري الدهلوي (المتوفى: ١٢٤٦هـ).

٩- عنَّ في البال: خطر على بالي.

١٠- مبلل البال: "والبَلَلُ: ضِدُّ الجُفوف."

المبحث الثاني: عبارات في فساد البال

من العبارات التي وردت في فساد البال وتدنيسه وانشغاله بما لا نفع فيه ولا فائدة. السخط، عدم الرضا، القلق. وعدم الطمأنينة

قال ابن القيم في السخط:

"إن السخط باب الهم والغم والحزن، وشتات القلب، وكسف البال وسوء الحال، والظن بالله خلاف ما هو أهله، والرضى يخلصه من ذلك كله، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة".

وقال أيضاً في الرضا:

"إن الرضى يوجب له الطمأنينة، وبرد القلب، وسكونه وقراره، والسخط يوجب اضطراب قلبه، وريبته وانزعاجه، وعدم قراره، كما قال: "إن الرضى ينزل عليه السكينة التي لا أنفع له منها، ومتى نزلت عليه السكينة، استقام، وصلحت أحواله، وصلح باله، والسخط يبعده منها بحسب قلته وكثرته، وإذا ترحلت عنه السكينة ترحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة، وطيب العيش، فمن أعظم نعم الله على عبده: تنزل السكينة عليه، ومن أعظم أسبابها: الرضى عنه في جميع الحالات"٤. وبهذا يتبين أن زكاة القلب بالعلم والإيمان بالقدر وفق ما دل عليه الكتاب والسنة، وقرره السلف الصالح يجلب للقلب الاتزان والطمأنينة والسكينة.

وقال أيضاً في القلق:

"وفي مقابل ذلك فإن اضطراب تلك المعرفة بالجهل أو الضلال في هذا الباب يجلب للقلب قلقاً وحيرة، وسوء ظن بالله، وعدم رضى عن الله؛ يزيد ذلك وينقص بقدر الجهل والضلال الحاصل في العلم الإيمان بتفاصيل القدر.

وهذا القلق وعدم الرضى يدفع صاحبه إلى البدع والأهواء والمعاصي، وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى هذه الثغرة الخطيرة في حصن القلب بقوله: "إن عدم الرضى يفتح باب البدعة، والرضى يغلق عنه ذلك"[٣٦]

وقال ابن الوزير في العواصم في الطمأنينة:

"وأما الطمأنينة التي تنتفي معها الوسوسة، فإنها موهبة من الله تعالى بالاتفاق، لأنها ضرورية غير واقفة على اختيار العبد، وقد يكون سببها مشاهدة الخوارق كما في قصة الخليل عليه الكلام، وقد يكون سببها كثرة اليقين والتصديق بوقوع الخوارق حتى يكون السامع للأخبار كالمعاين، وأساس هذا كثرة المعرفة لكتب معجزات الأنبياء عليهم السلام وأحوالهم،

---

[٣٦] انظر: مدارج السالكين ٢/٢١٤-٢٣٩.وانظر أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة٢/٥١٨ المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م

ومن أنفس ما صنف في ذلك: كتاب " الشفاء " للقاضي عياض، وأنفس منه أوائل " البداية والنهاية " لابن كثير. وقد يكون سببها كثرة الصلاح، وأبعد أسبابها النظر على طريقة المتكلمين، بل هو منافر لها، لأنه عند أهله مبني على الشك، إذ لا يصح النظر عندهم في المقطوع بصحته.

والجواب عليهم:

أن معرفة الله جلية في الفطرة، سابقة للشك كما قال تعالى: (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض). إبراهيم: ١٠، ولذلك قال ﷺ: " "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، كما تنتجون البهيمة، هل تجدون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها؟" قالوا: يا رسول الله: أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»"[٣٧] وهذه الفطرة عند أهل المعارف علم ضروري، وعند غيرهم ما يقاربه ويسمى باسمه، ولا يكاد يتميز عنه من اليقين المستند إلى مجموع قرائن لا يمكن التعبير عنها، فكيف لا يتميز الفرق بين ذلك وبين ما يعارضه من وسواس الشياطين، وكيف لا ندرك الفرق بين ذلك بضرورة الفطرة المخلوقة بعدل الله تعالى، وفضله، وحكمته، وكمال حجته.

[٣٧] أخرجه البخاري برقم (٦٥٩٩)، ومسلم برقم (٢٢).

والتحقيق على أصل الجميع أن ظن الباطل لا يكون راجحاً في الابتداء، ولا يترجح إلا بالعقوبة المستحقة، وما لا يكون راجحاً، لا يكون في مخالفته مضرة مظنونة، ولا يجب الاحتراز منه، وظن الحق، راجح بالفطرة الأولى، وفي مخالفته مضرة مظنونة، ودفع المضرة المظنونة واجب عقلا، وقد أخبر الله تعالى أنه كفر سيئات الذين آمنوا بما نزل على محمد ﷺ وهو الحق من ربهم تعالى، وأصلح بالهم، وعلل ذلك بأنهم اتبعوا الحق من ربهم، بخلاف الذين كفروا واتبعوا الباطل، والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم رفع بالابتداء، والخبر كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم قال مجاهد عن ابن عباس: أي أمرهم. وروى الضحاك عنه: أي شأنهم. .[٣٨]".

[٣٨] العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم /٣٩٦ المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ) حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة.

الخاتمة نسأل الله حسنها

الإيمان والتقوى أساس راحة البال وتتلخص هذه المعاني في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام:(أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) نوح:١-٤

فالله تعالى "أرسل نوحاً، ليدعو قومه إلى عبادة الله سبحانه وطاعته، وقد بلغ نوح دعوة ربه إلى قومه، ولخص دعوته في ثلاث كلمات: اعبدوا الله وحده واتقوه وآمنوا به عن يقين وأطيعوا رسولكم فيما يأمركم به، وينهاكم عنه. وبهذا الإيمان تستحقون مغفرة الله لكم، والبركة في أعماركم، ولا شك أن للطاعات مدخلا في راحة البال واستقرار العيش، وهدوء النفس، وهذا بلا ريب، يطيل هناءة العمر، ويجعله مباركا حافلا بالأعمال النافعة".[٣٩]

ومن أسباب راحة البال واصلاح الحال تعهد القرآن بالتلاوة والتدبر فيها والعمل على التخلق بأخلاق القرآن الكريم "فالقرآن الكريم كلام الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺليكون للعالمين نذيراً، وحوى من العقائد والشرائع

[٣٩] الموسوعة القرآنية، خصائص السور١٦٤/١٠، المؤلف: جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٠ هـ

والمعارف والعلوم والآداب والأخلاق ما يجلّ الوصف عن ذكره، وتضمّن بين طيّاته الإخبار عن الأوّلين والآخرين، وما كان وما سيكون. ورسم للإنسان منهجاً واضحاً، وطريقاً سليماً، وصراطاً مستقيماً يسير عليه، ويهتدي به، ويدعو إليه.

كما اشتمل القرآن العظيم على الأمن والإيمان والطمأنينة والتوحيد، وانشراح الصدور، وهدوء الضمائر، وراحة البال."[٤٠]

[٤٠] الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلم١/٩، المؤلف: د. عبد الرحيم بن محمد المغزوي.

المحتويات

مقدمة ٢

خطة البحث ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

الفصل الأول: تعارف ومفاهيم: صلاح البال وفيه مباحث: ٦

المبحث الأول: تعريف البال لغة واصطلاحاً ٦

المبحث الثاني: تعريف الصلاح لغة واصطلاحاً ١٢

المبحث الثالث: وقفة مع قوله تعالى: (وأصلح بالهم)**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

المبحث الرابع: إصلاح البال في سورة محمد ١٧

المبحث الخامس: عبارات في معنى إصلاح البال وعكسه ٣٤

المبحث السادس: مصطلحات بيانية في مفهوم البال ٣٤

الفصل الثاني: البال في السنة المطهرة وفيه مباحث: ٢٨

المبحث الأول: مسألة عقدية وردت في الحديث الشريف ٢٨

المبحث الثاني: الإيمان بالقدر وإصلاح البال ٢٥

المبحث الثالث: الإيمان وراحة البال ٢٣

الخاتمة نسأل الله حسنها ٤١

المصادر والمراجع .....